

المشكلات المترتبة على ظاهرة أطفال الشوارع

د. غني ناصر حسين القرشي

يتعرض أطفال الشوارع إلى العديد من المخاطر والمشكلات سواء على المستوى الأمني أم السلوكي أم الإنساني، ويمكن تقسيم المشكلات التي يتعرض لها أطفال الشوارع على النحو الآتي:

أولاً- مشكلات أمنية:

عادة ما يكون أطفال الشوارع أو الأطفال العاملين في الشوارع بلا وازع ولا رقيب، ويختلطون بمن هم أكبر منهم سناً، وعلى ذلك يمكن أن ينخرط هؤلاء الأطفال في شبكات العصابات المنظمة، وغالباً ما يعمل هؤلاء الأطفال في مجالات السرقة والدعارة وتجارة المخدرات، وتؤكد هذه الحقيقة كثير من الدراسات حيث أشارت (نهاية بدوب) في دراستها عن عمالة الأطفال في الأردن إلى أن من أبرز المخاطر التي يتعرض هؤلاء الأطفال ما يلي:

- ١- اكتساب عادات سيئة مثل التدخين والتعامل مع المسكرات والكحول.
- ٢- التعرض لأعمال نصب واحتيال.
- ٣- تعلم الغش والتعرض لإغراءات رفاق السوء ما يؤدي إلى الانحراف وارتكاب أعمال منافية للقانون مثل: السرقة وتعاطي المخدرات أو ترويجها.
- ٤- التعرض لمخاطر جرائم الخطف.
- ٥- التعرض للتحرش الجنسي.
- ٦- التعرض لأشكال مختلفة من الاستغلال.

ويؤكد (عبد الله اليوسف) في دراسته عن الأطفال الباعة والمتسولون، أن الأطفال العاملين وأطفال الشوارع يتعرضون إلى العديد من المخاطر الأمنية والتي يرى أن أهمها الاستغلال الجنسي حيث يشير إلى أن هذا الأمر يعد من أخطر ما يقلق صانعي القرار والمهتمين بموضوع أطفال الشوارع وذلك لإمكانية استغلالهم جنسياً من قبل العصابات أو الأفراد المستغلين لضعفهم وصغر سنهم وعدم قدرتهم على مواجهة الإساءة الجنسية.

وبينت نتائج دراسة (عبد الرحمن عبد الوهاب علي) الموسومة (أطفال الشوارع في اليمن) أنّ غالبية أطفال الشوارع يتعاطون المكيفات ونسبة عالية تصل إلى (٩٤.٥%) من الأطفال المبحوثين ما يدلّ بأنّ حياة الشارع والاحتكاك يؤثر على الأطفال فهذه النسبة تشكل خطورة على مستقبل الأطفال، حيث يتعاطون أنواع مختلفة من المكيفات تتوزع أعلى النسب بين (٥٣.٨%) في السجائر و (٢٤.٦%) في تعاطي القات و (١٣.٥%) في تعاطي الشمة و (٤.٦%) في تناول التبغ. أنّ تعاطي مثل هذه المكيفات بهذا القدر يشكل مشكلة اجتماعية أيضاً لها مخاطرها الصحية والنفسية على الأطفال فالتعود على بعض المكيفات يقود الطفل للحصول عليها بأي وسيلة تحت الضرورة وقد يضطر إلى وسائل غير شرعية للحصول عليها والانضمام إلى شلة المنحرفين في الشارع.

أمّا الأمر الآخر الذي بينته نتائج الدراسة فهو أنّ أطفال الشوارع يتعرضون لأسوأ استغلال إلى جانب صعوبة الحياة اليومية والمعاناة وظروف العمل السيئة ألا وهو الاستغلال الجنسي حيث أشارت أنّ نسبة (٤٢.٩%) يتعرضون لتحرشات جنسية بالألفاظ. وهناك نسبة (٣٠%) يتعرضون لمحاولة الاعتداء الجنسي (الاغتصاب). كما بين (٢٢.٩%) من الأطفال المبحوثين تعرضهم للاعتداء الجنسي الفعلي من قبل الأفراد الكبار أو من قبل المجرمين والعصابات. وهذا ما يؤدي إلى إصابة هؤلاء الأطفال بالخوف والقلق وفقدان الثقة بالآخرين والتعرض للصدمات النفسية التي تجعلهم يكرهون المجتمع.

ثانياً - مشكلات اجتماعية:

يتعرض أطفال الشوارع والأطفال في الشوارع إلى العديد من المشكلات الاجتماعية لعلّ أبرزها:

١ - تفشي الجهل والامية والتخلف:

يؤدي عمل الأطفال إلى حرمانهم من مواصلة دراستهم وتحصيلهم العلمي إذ يتفرغ غالبية هؤلاء الأطفال عن الدراسة في سن مبكرة ويعملون بوصفهم مساعدين هامشيين لأسرهم أو للكبير سنّاً منهم، من هنا ينشأ هؤلاء الأطفال وهم قليلو التجربة والتعليم ما يؤدي إلى زيادة الأمية وتفشيها في المجتمع - وسبق أنّ أشرنا سابقاً - أنّ غالبية الأطفال أطفال الشوارع والعاملين فيها انقطعوا عن الدراسة أو لم يلتحقوا بالمدرسة أصلاً، وأمر مثل هذا من شأنه أن يزيد أعداد الأميين والهامشيين في الأجيال القادمة الأمر الذي ستكون له آثار خطيرة على أمن المجتمع وسلامته.

٢ - ارتفاع نسبة البطالة بين البالغين:

لعلّ من أبرز المشكلات التي تترتب على عمالة الأطفال وانخراطهم في الشوارع هي شح فرص العمل المتاحة للكبار الذين هم في سن العمل أو انعدامها إذ أنّ أصحاب العمل يفضلون صغار السن من الأطفال للعديد من الاعتبارات الاقتصادية والاجتماعية والتي تتلخص في طاعتهم العمياء وعدم مطالبتهم بحقوقهم وغير ذلك من الأسباب.

ثالثاً- مشكلات نفسية:

يرى كثير من الباحثين أنّ انخراط الطفل المبكر في سوق العمل له آثار سيئة على الطفل وتتمثل هذه الآثار بمشكلات نفسية كثيرة أبرزها: سوء التكيف والانحراف إذ أنّ الطفل في مثل هذه السن لا يعد مهيناً نفسياً وجسماً لمزاولة كثير من الأعمال نظراً لما يتميز به في هذه المرحلة العمرية من عدم اكتمال النمو العام للجسم وما يصاحبها من أزمات وانفعالات نفسية كبرى بالإضافة إلى أنّ الطفل في مثل العمر لا يكون نموه بمستوى يؤهله للانضمام إلى سوق العمل وإنجاز الكثير من الأعمال التي تتطلب طاقات جسمية أو فكرية معينة، فضلاً عن هذا فإنه لا يكون مستعداً للتكيف مع مجتمع الكبار لذا ونتيجة لهذه العوامل كلها يتعرض الطفل إلى إصابات وانحرافات خطيرة على سلوكه ومستقبله.

ويخلص (نزار أحمد) (١٤٢٤هـ) أهم الأمراض النفسية والصحية التي يتعرض إليها الأطفال العاملين على النحو الآتي:

١- التخلف الجسدي: يعاني الأطفال الذين يعملون في سن مبكرة من عدم النمو الجسدي بسبب المخاطر التي يتعرضون إليها في عملهم مثل: حمل أشياء أثقل من طاقتهم وخطر السقوط من أماكن شاهقة والتعرض للجروح والإصابات واستنشاق الغازات السامة.

٢- تلبّد الإحساس وانعدام العاطفة: يحرم الأطفال العاملين من الاستمتاع بفترات طفولتهم وتكون حياتهم جافة، ويعانون كذلك من عدم تقدير النفس واحترامها، وتراودهم هذه الأحاسيس بصورة خاصة عندما يرون أقرانهم الذين أكملوا تعليمهم وهم في مراكز مرموقة ويستمتعون بثمرات تعليمهم. وهنا تترسب في نفوس هؤلاء الأطفال مشاعر الحقد والحسد وسائر الأمراض الاجتماعية الأخرى.

٣- عدم الثقة بالآخرين: غالباً ما يتعرض الأطفال أثناء عملهم المبكر لاعتداءات من أصحاب العمل ومن الزبائن الذين يتعاملون معهم بقسوة وعنف ما يؤثر في نفسيات الأطفال ويشعرهم بالاضطهاد وأنهم مستهدفون من قبل الآخرين، ما يجعلهم ينشأون وفي أنفسهم شعوراً بالنقص والدونية.

٤ - عدم التواصل مع المجتمع: لأنَّ الأطفال العاملين يقضون أغلب أوقاتهم مع أشخاص أكبر منهم سناً؛ فإنَّهم يتأثرون بهم وتكون علاقاتهم مع من هم في سنهم شبه مقطوعة، لذلك تكون علاقاتهم مع المجتمع مشوهة.

٥ - التخلف الأخلاقي: يتأثر الأطفال العاملين بالمجتمع الذي يعيشون فيه والذي يتكون غالباً من أنصاف متعلمين وجهلة وتقل فيه بنسبة كبيرة القيم والأخلاق فينشأ الأطفال وهم فاقدين لهذه الأخلاق ما ينعكس على سلوكهم ويساعد على تنشئتهم نشأة عدوانية.

رابعاً- مشكلات صحية:

أنَّ الشارع وإن كان يوفر الحد الأدنى من الغذاء لبقاء الطفل لكنه لا يوفر للطفل الاحتياجات الغذائية الأساسية التي يتطلبها جسم الطفل في هذه المرحلة من العمر التي تتطلب وجبات غذائية تتناسب مع نموه. وفي دراسة (عبد الرحمن عبد الوهاب علي) أعلاه تبين أنَّ نسبة (٤٠.٧%) من الأطفال تحصل على وجبتان من الطعام يومياً ونسبة (٣٩.٣%) تحصل على الطعام حسب الظروف، وهذا يعني أنَّ حوالي (٨٠%) من هؤلاء الأطفال لا تتوفر لديهم الاحتياجات المطلوبة من الغذاء اليومي ومن ثم يكونون عرضة لمختلف الأمراض.

ويؤكد العديد من الباحثين في مجال عمل الأطفال إلى أنَّ هناك نطاق من المشكلات الصحية المتفاقمة والمرتبطة بعمل الأطفال أهمها: التوقف بالنمو الطبيعي (التقزم)، وسوء التغذية وتشوهات العظام، وهناك أيضاً الجروح الملتهبة والحروق وحالات البتر والالتهابات الجلدية التي ليست بالضرورة أنَّ تكون مرتبطة بمهنة ما.

وعلى وفق تقارير منظمة الصحة العالمية تكون الحوادث والإصابات السبب الرئيس لوفيات هؤلاء الأطفال والمراهقين عالمياً وبمعدل طفل لكل خمس أطفال أحياء، وأكثرها شيوعاً الحروق بالنار أو بمواد كيميائية، السقوط من أماكن عالية والتسمم الغذائي، وعلى الرغم من نقص البيانات، إلاَّ أنَّه يمكن الاستدلال بأن الحوادث المرتبطة بالمهنة أكثر ما تكون بين الأطفال العاملين، وقد أجري مسح شامل في كارولينا الشمالية في الولايات المتحدة، أظهر بأن أكثر من (٥٠%) من إصابات العمل تكون عند الأشخاص الذين تتراوح أعمارهم بين (١١-١٩) عام. أمَّا عن المخاطر الصحية لعمل الأطفال في الشوارع فإنَّه يمكن الاستدلال بأنَّه طالما يكون عمل الأطفال في الشوارع، فإنَّهم بالتالي يكونوا أكثر عرضة لحوادث الطرق، كما أنَّ الأطفال الذين يعملون في جمع الأزبال يكونون عرضة بشكل دائم للإصابة بالجراثيم والأشياء الجارحة، أمَّا الباعة المتجولون في محطات المترو وسكك الحديد فإنَّهم يتعرضون بوجه خاص

للإصابات الجسدية ويمكن ملاحظة أنّ الكثير منهم يحمل ندبة أو عوق في أحد أطرافه بسبب القفز من قطار متحرك ويبدو هذا ناجم عن اعتقادهم بالقضاء والقدر تجاه مسألة الخطر. أنّ المشكلات الصحية التي يمكن أن يتعرض إليها أطفال الشوارع والأطفال العاملون في الشوارع كثيرة جداً ذكر منها (عبد الله اليوسف) (١٤٢٣ هـ) ما يأتي:

- ١- الجرب.
- ٢- التايفوئيد.
- ٣- الملاريا.
- ٤- البلهارسيا.
- ٥- الأنيميا.
- ٦- الكحة وأمراض الصدر.
- ٧- أمراض العيون.

زيادة في التفاصيل ينظر:

- ١- عبد الرحمن عبد الوهاب علي، أطفال الشوارع في اليمن، دراسة اجتماعية-اقتصادية - نفسية، الجمهورية اليمنية، جامعة عدن .
<http://www.rezgar.com/debat/>
- ٢- عبد الرحمن بن محمد عسيري، تشغيل الأطفال والانحراف، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ٢٠٠٥.
- ٣- خديجة حسن جاسم المشهداني، عمل الأطفال في الشوارع، دراسة ميدانية في مدينة بغداد، إشراف فتحية الجميلي، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم علم الاجتماع، ٢٠٠٤، (أطروحة دكتوراه).